قصيدتان لزينب والضباب

جودت فخرالدين

الى زينب

١ ــ حيث تنفتح الارض مثل الذراعين

هنا ، يتوسد جرحي ترابا اليفا
وينتصب اللوز فاتحة للفضاء
وتبكي الشجيرات عند الصباح
وحين تلم الغصون بأهدابها قطرات المطر
أغالب موتا سحيقا ،
وأنشج سهوا ، فتورق خاطرة للحجر
هنا ، حيث يختلس العشب احلامه
من هبوب الرياح ومن هفوات الخطر
يخطر الموت مصطحبا بالجمال وآلامه
يخطران ويعتنقان على كل منعطف ،
فوق كل الدروب وملء البراري
وللظل أجنحة فيها شعاع يحاول رقصا كسيحا .
هنا ، حيث تنفتح الارض مثل الذراعين
يدهمني الحلم ، يستنطق الكائنات
التي تترسب في الصمت حولي
فيسعفها النطق في فسحة للبكاء
ولم أنج من غبش الحلم الا وكانت بنافذتي
غابة اشعلتها الرؤى والصور
ليس لي غير هذا المدى لأصفق وجهي
هنا حيث ينهدم الوقت
تبكي المواعيد ملهوفة في العراء
تجيء من التبغ أو من شظايا القنابل شمس
فتلغي السماء
ويدمى الخريف على جبهة للشتاء
فتزهر بعض النباتات جارحة في الصقيع
هنا يحتمي الزهر بين شقوق الصخور
هنا عالم للنقاء وللصمت
هنا ملعب للجمال وللموت

. . . . . .

تعالي لنجلس مرتبكين هنا ، بانتظار القمر
يتأخر ، لكننا نحسن الصمت والارتباك
ونعرف ان الدجى اول الاصدقاء
تعالي ، فعند صعود القمر
ستهبط بعض النجيمات ما بيننا
وستهمي علينا رذاذا من الضوء
ما أجمل الانتشاع
انظري ، كيف تختبىء الامنيات وراء الظلام
وترتجف الاغنيات وراء الشتاء
ونحن هنا ، ضالعان بشوق خفي
ويفضحنا بارق هو كالحزن منبلج في سماء العيون
ألا تسمعين صدى كالانين يوسوس بين الشجر ؟
ألا تعلمين بأنا نطارد أضغاثنا في الزمان ؟
فيفلت منا الزمان
وانا ننوء بأعباء هذا السفر
وأنت المصابة بالحقل ، أنت المصابة بالاقحوان
تعودين كل مساء مضرجة بالشفق
تعودين ولهى ، وخلفك يأتي الافق
سنبقى هنا ، حيث ما زال يسأل عنا السحر
تعالي لنجلس مرتبكين هنا ، بانتظار القمر

. . . . . .

لا تخافي الضباب
ولا تحسبي أنه حين يغشى المتاهات
يحجب عنا الفضاء
فلا شيء يطفىء وهج انكساراتنا في الدجى
فاطردي عنك وحشة هذا السكون
تعالي ندب بهداة هذا الخواء
ونفنى معا في تفاصيل موت جميل
تعالي ، نولي معا ، باتجاه البعيد
فانا سندرك متسعا للتجلي
سنرحل في غفوة المنحنى ، في تداعي الاشعة ، في قطرات المطر

ولن يحتفي غيرنا بالمساء
فنحن وحيدان في الشوق والصبوات
وحيدان في حومة للشذى والخطر
فاطردي عنك وحشة هذا السكون
استعدي لدفء شفيف
ولا تعبئي بالصدى ،
لا تخافي الضباب

الجنوب
(١٩٧٨/١/٣)

٢ ــ أقصر عن حبك

وما كان ينقصنا غير ليل اليف
لتأخذ أحزاننا حالة الانقشاع
وتدخل في هجعة الاشتعال اللذيذ
وهل كان يشعل رغبتنا غير عصف الخواء ؟
وهل أنت غير الضباب وقطر الندى ؟
أنت لا تعبرين الى الضوء
الا واعبر نحو التهاوي
وتنكشفين على الماء جارحة الاخضرار
فينكشف القحط في داخلي
وأطارحك الهم والانعتاق
ولا أدعيك ، فلا تدعيني
وأسقط عند اشتباك الظنون
فلا تسقطي
وأتركيني وحيدا بدائرة الاصفرار
أنا نزوة القش
أطفىء دمعي في فسحة للجفاف
وأنت اختصار المتاهات ،
أنت اختزان المواعيد
نحن التقينا على شفرة الانكسار
وهمنا معا باتجاه البراري
وأذكر :
« كنا اذا ما افترشنا التراب
تحفز معشوشبا
كنت لا تتجلين الا ملفعة بالغمام
وكان الغبار يريد افتراسك
كان العراء يجهز اشباحه
وأنا ، كنت اسقط في حيرتي
كلما هاجني الحقد ، أو ازهرت اضلعي بالمرارات».
هذا اعترافي بأني احببتك

.....

وتبقى الغوايات أكثر من أن تعد
وتبقين واحدة في الطفولة
تأتين من كل حرب محصنة بغبار الهزائم
تستوقفين الفصول
لتستنبتي زهرة للرحيل
ولا تذهبين الى البحر الا معفرة بالحقول
وينساب منك شذى الاقحوان
فأسكري في وحشتي
واذا ما تلمست دربا اليك
تشامخت قاسية كالنخيل
تعالي ، لنعلن اشواقنا في حمى البيلسان الكئيب
تقربني منك فاصلة للأسى
ويباعدني عنك مستنقع الذكريات
ونحن فطرنا على الحزن
مذ كان يختلج الدمع كالزهرة الوالهة
وقيل سيبتدىء الخلق
مذ كان ينبجس الوقت في خطو أقدامنا التائهة
ألا نتسلق هذا الجدار من الامتثال سويا ؟
ألا ننضوي في جموح لشهوتنا ؟
نترك النار تأكل أحشاءنا
والصبابات تمنحنا لذة الاحتراق
لماذا يحددنا الظل والامتقاع الحزين
أداري جفاف عروقي
وأخفي عوارض من يتهدم قبل انقضاء الامد
ألم شتاتي ، فينداح ظلك بين شظايا الجسد
وتومض من لهفتي جذوة
آه ، اني اقصر عن حبك المتوحد بالقلب
أنت الحضور الذي لا يغيب
وأنت الغياب الذي لا يؤوب
وأبقى وحيدا
أطارحك الهم والانعتاق
وتنكشفين فضاء اخيرا
فأبقى وحيدا امام الجدار الاخير .

(كانون الاول ١٩٧٧)